



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى:

وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ
لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ
(٥٣)

سورة يوسف

شرح الكلمات:

{وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي} مِنَ الزَّلَلِ {أي كثيرة الأمر بالسوء هو ما يسيء إلى النفس البشرية مثل الذنوب.

إلا ما رحم ربي: أي إلا من رحمه الله فإن نفسه لا تأمر بالسوء لطبيعتها وطهارتها.

الشرح الاحكامي :

قوله تعالى: {وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي} وعمل لذلك فقال {إِنَّ النَّفْسَ} أي البشرية {لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} إلا ما رحم ربي {إلا نفساً رحمه ربي بتوفيقها إلى تركيبتها وتطهيرها بالإيمان وصالح الأعمال فإنها تصح نفساً مطمئنة تأمر بالخير وتنهي عن الشر، وقوله: {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} ذكر هذه الجملة تعليلاً لقوله: {وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي} فذكر وإن حصل مني هم بضرب وهو سوء فإني تبت إلى الله، والله غفور أي يغفو ويصفح فلا يؤاخذ من تاب إليه ويرحمه فإنه رحيم بالمؤمنين من عباده. ثم لما كان في هذا الكلام نوع تركية لنفسها،

وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف، استدركت فقالت: {وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي} أي: من المراودة والهيم، والحرص الشديد، والكيد في ذلك. {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان {إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} فنجاة من نفسه الشيطان، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، متفاداة لداعي الهدي، متعاضدة عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعده.

{إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، {رَحِيمٌ} يقول توبته، وتوفيقه للأعمال الصالحة. وهذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر.

ومن لطف الله أن قال عن النفس: إنها أمارة بالسوء؛ وفي هذا توضيح كاف لطبيعة عمل النفس؛ فهي ليست أمراً بالسوء، بمعنى أنها تأمر الإنسان لتقع منه المعصية مرة واحدة وينتهي الأمر.

لا، بل انتبه أيها الإنسان إلى حقيقة عمل النفس، فهي دائماً أمارة بالسوء، وأنت تعلم أن التكليفات الإلهية كلها إمّا أوامر أو نواهي، لذلك يقول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتُ الْجَنَّةَ بِالْمَكَارِ، وَحُقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» .

أي: أن المعاصي قد تُغريك، ولكن العقول هو من يملك زمام نفسه، ويُقدِّر العواقب البعيدة، ولا ينظر إلى اللذة العارضة الوقيفة؛ إلا إذا نظر معها إلى الغاية التي توصله إليها تلك اللذة؛ لأن شيئاً قد تسبّب له لحظة قد تشقّ به زمناً طويلاً.

ولذلك قلنا: إن الذي يُسرف على نفسه غافل عن ثواب الطاعة وعن عذاب العقوبة، ولو استحضر الثواب على الطاعة، والعذاب على المعصية؛ لامتنع عن الإسراف على نفسه.

وقوله تعالى {إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} أي إلا نفساً رحمه ربي فصرف عنها السوء والفحشاء بعصمته كنفس يوسف عليه السلام، ثم عللت ما سلف بقولها: {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي إن ربي عظيم المغفرة، يغفر ما يعثر النفوس بمقتضى طبعها، إذ ركب فيها الشهوات الجسمية والأهواء النفسية.

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين . رحمه الله: والنفس ثلاث:

نفس شريرة: وهي الأمارة بالسوء.

ونفس خيرة: وهي المطمئنة تأمر بالخير.

ونفس لوامة.

وكلها مذكورة في القرآن: فالنفس الشريرة التي تأمر بالسوء مذكورة في سورة يوسف: وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ. {يوسف: ٥٣}.

والنفس المطمئنة الخيرة التي تأمر بالخير مذكورة في سورة الفجر: يَا أَيُّهَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخِلِي جَنَّتِي. {الفجر: ٢٨-٣٠}.

والنفس اللوامة مذكورة في سورة القيامة: لَا أَقْسِمُ بِنَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. {القيامة: ٢-١}.

خطوات للتغلب على النفس الأمارة بالسوء:

١- الصدق في طلب العون من الله: فالصدق مع الله من أهم أسباب الراحة وانسراح الصدر ،فإذا صدقت النفس في طلب العون من الله اعانه ونفعه .

٢-أن يعلم العبد انه لا حول ولا قوة له إلا بالله العلي العظيم.

٣-من يؤمن بالله يهدي قلبه. فإذا حرص العبد أن يجدد إيمانه ويقويه يهدي الله قلبه ويسر له سبل الخير.

٤-أن يحرص العبد على العبادات بفروضها ونوافلها.

٥- الحرص على طلب العلم، طلب العلم من الله وتجديد الإيمان والصدق هو السبيل الوحيد الذي

ينجي الله به العبد من الشهوات والعلم الذي ينجي العبد هو العلم الصحيح الذي

يكون على أيدي الربانيين والعلماء فيجب على العبد أن يحرص على مجالستهم .

٦- الصلحة الصالحة: فهي الصلحة التي إذا فعلت خير اعانك وإذا فعلت شر اعانك على تركه وتوكلت بالله جل وعلا .

٤

٣

٢

إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم (الإصدار رقم ١٠٠٠)



هذا هو الحق



قوانين من تفسير سورة يوسف الآية ٥٣

تهدي ولا تباع

ولا تسونا من صالح دعائكم

أمدًا عزمي إبراهيم عزيز

١

١٠- يجب أن يتيقن الإنسان أن مامن خير وفق له إلا بإعانة الله عز وجل وأن يعلم انه عبد ضعيف فقير إلى الله فلا ينظر لنفسه بنظرة الإعجاب أو التكر .

١١- لا شيء أقيم لشهوات النفس من الخوف من الله جل وعلا فمن خاف من الله خوفا صادقا سكنت نفسه وخشعت وذلت وانكسرت وجانبت ما هي فيه من معاصي وبادرت بالأعمال الصالحة وجاهدت من أجل فعل الخير الجراء تفوز وتفلح فلاح الابد وتربح خير الدنيا والاخرة

١٢- قال ابن القيم - رحمه الله -: وأما النفس الأمارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها فهو بعدها ويميناها، ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء ويزين لها ويطل في الأمل، ويربها الباطل في صورة تقيها وتستحقها، ويمدحها بأنواع الإمداد الباطل من الأماني الكاذبة، والشهوات المهلكة ويستعين عليها بهواها، وإراداتها، فمنه يدخل عليها كل مكروه، فما استعان على النفوس بشيء وهو أبلغ من هواها وإراداتها إليه.

١٣- قال بعض الأئمة: جهاد النفس داخل في جهاد العدو، فإن الأعداء ثلاثة ورأسهم الشيطان، ثم النفس لأنها تدعو إلى اللذات المفضية إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب، والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها. فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه.

١٤- جهاد النفس أربع مراتب: حملها على أمور الدين ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم من لا يعلم، ثم الدعاء إلى توحيد الله.

١٥- قال يحيى بن معاذ: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، والنفس بترك الشهوات.

١٦- الشر كامن في النفس، وهو يوجب سيئات الأعمال، فإن خلى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال، وإن وفقه الله وأعانه نجاه من ذلك كله فسأل الله العظيم أن يعيدنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

والله اعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٦

الفوائد:

١- فضيلة هضم النفس باتهامها بالقص والنقص.

٢- إن النفس البشرية لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء إلا نفساً رحمه الله وعصمتها من الزلل والانحراف، كنفس يوسف- عليه السلام.

٣- النفس تميل بطبيعتها إلى الشهوات وتزين السوء والشر، إلا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء. وإني لأطمع في رحمة الله وغفرانه، لأنه واسع الغفران للذنوب التائبين، قريب لا ينجح تدبير الخائنين.

٤- النفس الأمارة بالسوء تعتبر مرض و داء وقد كتب الله عز و جل في هذه الدنيا أن ينزل الداء و معه الدواء أما الدواء فهو (أن تعبد الله كآك تراه فإن لم تره فهو يراك) .

٥- النفس الأمارة: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور ومنع الأخلاق الدائمة، (وهذه هي النفس التي ينبغي مجاهدتها).

٦- أوجب الله - تعالى- مجاهدة هذه النفس الأمارة، وحذر من الانجرار وراءها، ومجاربة النفس الأمارة بالسوء هو: تحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع..

٧- أن هناك ما يشفي من الداء، وهناك ما يحصن الإنسان، ويعطيه مناعة أن يصيبه الداء، والحق سبحانه غفور، بمعنى أنه يغفر الذنوب، ويمحوها، والحق سبحانه رحيم، بمعنى أنه يمنح الإنسان مناعة، فلا يصيبه الداء، فلا يقع في زلة أخرى. والحق سبحانه هو القائل: وَلَنُرِيَنَّكَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِئْنًا وَرِخْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٢)(سورة الإسراء).

٨- تسمح القرآن فهو يشفيك من الداء الذي تعاني منه نفسياً ويقوي قدرتك على مقاومة الداء؛ ويفجر طاقات الشفاء الكامنة في أعماقك.

وهو رحمة لك حين تتخذ منهجاً، وتطبقه في حياتك؛ فيمنحك مناعة تحميك من المرض، فهو طب علاجي وطب وقائي في آن واحد.

٩- اعلم أن الله معك فالجأ إليه وأكثر من التضرع له والدعاء والابتهال والبكاء بين يديه؛ لأنك الآن في نعمة عظيمة، فأنت قد قررت من الشيطان وكيد، والشيطان يعز عليه أن تكون من أهل الجنة.

٥